الحرية بعد الاستبداد والاستعمار، والعلم بعد الجهل والصحة بعد السقم والوحدة بعد التمزق

شكلت الوحدة قاعدة صلبة للتعددية الحزبية وحقوق الانسان وحرية التعبير فكراً وممارسة وترجمة فعلية للهدفين الرابع والخامس من أهداف الثورة اليمنية من يغوص عميقاً وثائق اليمن وحياة اليمنيين في الحقب الزمنية التي عاشتها اليمن إبان العهد الإمامي وحكمه الاستبدادي الجائر ، وقرأ بتجرد ما أحدثته ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م ، سيدرك جيداً مدى البون الشاسع بين ما قبل الثورة وبعدها .. هذه التناولة لا تعني بأننا سننصب ميزان وجداول المقارنة بين عهدين مختلفين ، بل سنتتبع بحيادية تامة ، ستة مسارات أساسية درَجت فيها وسارت تلك المواكب السبتمبرية وتضحياتها الجسام .. كما أن هذا التتبع ليس اجتهاداً سردياً ونقدياً بل اقتضاء وثائقي صدرت معلوماته واحكامه ممن عايش الظلم والاستبداد وأكتوى بناره ، وعاش الثورة وأسهم في صناعتها ورسم أهدافها ومساراتها واحتمالات التضحيات التي يتطلبها السير على صواب ودقة تلك الأهداف والمسارات الوطنية والإنسانية ابتداء بالتحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما واقامة حكم جمهوري عادل وإزالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات ، ومروراً ببناء جيش وطني قوي لحماية البلاد وحراسة الثورة ومكاسبها ، ورفع مستوى الشعب اقتصاديا واجتماعيا وسياسياً وثقافياً ، وإنشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني عادل مستمد أنظمته من روح الاسلام الحنيف ، العمل على تحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية الشاملة ، وأخيراً احترام مواثيق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والتمسك بمبدأ الحياد الايجابي وعدم الانحياز والعمل على إقرار السلام العالمي وتدعيم مبدأ التعايش السلمي بين الأمم.. هذه هي الأهداف الستة التي سنبحر سوياً في وثائق مختلفة لنستقرئ بعض ما تحقق علي صعيد كل هدف بجزئيته المختلف ، وما الذي لم يتحقق؟

اعداد / محمد محمد ابراهيم

رغم كثْرة القراءات المتعددة التي اطلعت عليها والمتمحورة حول التتبع التقييمي في مسارات أهداف الثورة اليمنية السبتمبرية الستة ، وزخم التناولات في هذا الموضوع الشائك بكل أنواع الاستفهامات التي تكتنف جزئيات كل هدف ، إلاّ إنني لم أجد أصدق وأدق من حديث أبو المناضلين اليمنيين مهندس الثورة اليمنية ، ومراقب سيرها ومعايش كل ظروفها والمآزق التي اعترضت طريقها ، وهو الثائر المخضرم والفيلسوف الزاهد القاضي عبد السلام محمد صبرة – حفظه الله ومدّه بالصحة والعافية، وذلك حين سألته في حوار ونقاش مستفيض حول حياته النضالية عن أهداف الثورة اليمنية والذي تحقق وما الذي لم يتحقق فكانت إجابته باختزال كبير وبعيداً عن التكلف ":(لقد تحقق الكثير من أهداف الثورة واستطاع شعبنا التخلص من الظلم والجهل والظلام والمرض.. وبقي أن يتخلص من الخلافات المذهبية والرؤى الضيقة وغيرها من أسباب التفرقة التي هي أكبر شر في حياته و أمنه لكي ينعم بخير الثورة.. وما أتمناه هو تخلص شعبنا من هذه الخلافات)"١. تلك الإجابة التي أنصفت بكل صدق مرحلة ما بعد الثورة ، لكنها بصراحة وضعت إشارة التنبيه على جرح لا زال هو جوهر ما يحصل من أزمات سياسية تنخر في مكاسب ومنجزات وعطاءات الثورة اليمنية ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م و١٤ أكتوبر ١٩٦٣م ، هذا الجرح هو التعصب أيا كان نوعه ، فهو مصدر الخلافات العقائدية ، والرؤى الضيقة التي تجد كل معلم من معالم خير تلك الثورة السبتمبرية المباركة ، حتى لا نتوه في معضلة كان سبب بقائها رغم المسافة الزمنية الفارقة بين العهدين ، هو الجهل وتراكماته وموروثاته المحبطة.

الانتصار للحرية

إن التحرر من الاستبداد والاستعمار ملحمة مطولة تبدا فصولها الطويلة من اشتداد وطأة الظلم على كل مواطن على وجه خارطة اليمن المجزأة تحت نظامين استبدادي كهنوتي يرى الحق الإلهي في حكم رقاب الناس تالداً بعد تالد ، ونظام استعماري حدود مصلحته تقتضي اغتصاب جغرافيا العالم إن أمكن ، ولا حق لأحد فوق مصلحته حتى ولو كان المطالب بحقه هو الوطن المغتصب.. بهذا كان الهدف الأول لثورة السادس والعشرين من سبتمبر هو "التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتها وإقامة حكم جمهوري عادل وإزالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات... وبثورة السادس والعشرين من سبتمبر الرابع عشر من أكتوبر ، وبرفع علم استقلال شطر الوطن الجنوبي من الاستعمار البريطاني كان الهدفى الأسمى والأبرز لثورة السادس والعشرين من سبتمبر قد تحقق بفضل التضحيات الجسام.. في ملحمة نضالية صار لها مساحتها الخاصة في صفحات التاريخ ، فـ" كان قيام الثورة في الـ٢٦من سبتمبر ١٩٦٢م نتيجة لتفاعل عوامل

أبو المناضلين اليمنيين القاضي صبرة:

تحقق الكثير من أهداف الثورة واستطاع شعبنا التخلص من الظلم والجهل والظلام والمرض.. وبقي أن يتخلص من الخلافات المذهبية والرؤى الضيقة

كثيرة تاريخية واجتماعية وسياسية شكلت في مجملها مخرجاً تاريخياً حرر الشعب اليمني من أسر نظام العزلة الامامية وكسر الحواجز التي كانت تعيق تكوّن المجتمع اليمني الحديث المعاصر في جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأيديولوجية..

وما عاناه المجتمع اليمني من ظلم وقهر واستبداد أدى بالتدريج إلى توحيد المجهود العام للقوى الاجتماعية الفاعلة في المجتمع اليمني بكل تفاصيلها وفئاتها للإطاحة بنظام الإمامة والولوج من بوابة الثورة اليمنية إلى العصر الحديث بكل آماله وطموحاته والى التوحيد الاجتماعي والاقتصادي والطموح في الحريات والمناصب السياسية المتكافئة والمتساوية، والى تحرير جنوب اليمن المحتل كرؤية لعين الثورة السبتمبرية إلى أنين الجزء الجنوبي من اليمن تحت نير الاستعمار البريطاني آنذاك.. حيث وضعت ثورة الـ ٢٦من سبتمبر في صدارة أهدافها مهمة تعزيز الكفاح من أجل تحرير الشعب اليمني من الاستبداد والاستعمار على طريق استعادة وحدته الوطنية وبناء المجتمع الديمقراطي؛ وتحولت الثورة اليمنية إلى مشروع وطني شامل للتغيير واجه تحديات البقاء والاستمرار في كل الجبهات وذلك من القوى المعادية للثورة من فلول النظام الامامي البائد التي خاضت ضد الجمهورية الفتية حرباً ضروساً بهدف اسقاطها وتمكنت الثورة من تحقيق انتصار حاسم عليها وتحطيم حصار السبعين يوما الذي استهدف إسقاط صنعاء عاصمة الجمهورية ومهد الثورة.

وواجهت الثورة بعد استقلال الشطر الجنوبي وتكون دولتين شطريتين شمالاً وجنوبا حالة ركود أعاقت تحقيق أهم هدفين من اهدافها وهما الوحدة والديمقراطية".

نضج أهداف الثورة واكتمالها

يدرك أجيال الثورة أن نضج واكتمال الثورة اليمنية يتحقق بنضج واكتمال أهدافها ومبادئها الستة.. وبالتالي فإن عظمة الثورة السبتمبرية ظهرت من بيانها الأول الذي يحوي في مضامينه إرادة الشعب اليمني الحر المستقل في جملة من الأهداف والسياسات في المجال الداخلي والقومي والدولي وأهداف الثورة المباركة.

هذه الأهداف والسياسات صاغتها قيادة الثورة لتبين ماهية الثورة السبتمبرية ولأهمية البيان الأول لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م بما يحتويه من بنود ونقاط تعكس عظمة الروح الثورية والفكر الثوري والنهج السبتمبري والرؤية الواضحة في فكر قيادة الثورة آنذاك.. فقد نص هذا البيان على ما يلي:

بسم الله ثم باسم الشعب اليمني الحر المستقل وباسم الجمهورية العربية اليمنية تعلن قيادة الثورة أهدافها وسياستها في المجال الداخلي والمجال القومي والمجال الدولي.. وأهداف الثورة: القضاء على النظام الفردي المطلق والقضاء على النفوذ الأجنبي ، إنهاء الحكم الملكي وإقامة حكم جمهوري ديمقراطي إسلامي أساسه العدالة الاجتماعية في دولة موحدة تمثل إرادة الشعب وتحقق مطالبه الأساسية العامة للجمهورية اليمنية.

فعلى المستوى الداخلي تضمنت تلك السياسات والأهداف التفصيلية إحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد أن أماتها الحكام الطغاة الفاسدون وإزالة البغضاء والأحقاد والتفرقة السلالية والمذهبية، وتنظيم جماهير الشعب في تنظيم شعبي موحد يشارك في عملية البناء الثوري ويمكنها من مراقبة أجهزة الدولة مراقبة يمنعها من الانحراف عن أهداف الثورة، وكذا رعاية وتنظيم الجيش على أساس حديث يصبح قوة لحماية الشعب وحماية الثورة ، إحداث ثورة ثقافية وتعليمية تقضي على مخلفات العهود البائدة التي عمقت الجهل والتأخر الفكري ، تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق نظام اجتماعي يتلاءم مع واقع شعبنا ومع روح الشريعة الإسلامية والتقاليد الوطنية الصالحة ، وتشجيع الرأسمال الوطني على ان لا يتحول إلى احتكار واستغلال أو يحول دون سيطرة الدولة وتوجيهها لقدرات البلاد الاقتصادية ، إضافة إلى تشجيع عودة المهاجرين إلى الداخل والاستفادة من خبراتهم وأموالهم.

بناء الجيش الوطني

يعتبر الهدف الثاني من أهداف ثورة ٢٦سبتمبر المجيدة ، بناء جيش وطني قوي لحماية البلاد وحراسة الثورة ومكاسبها هو من أهم الأهداف الستة للثورة السبتمبرية الخالدة والذي وضعه الثوار في مقدمة أهدافهم.. لكن قبل الحديث عن واقع القوات المسلحة اليوم تجدر بنا الإشارة إلى واقع الجيش الحافي قبل الثورة.

" فقبل ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م لم يكن هناك جيش وطني حقيقي وإنما كان هناك مجموعات من الجندرمة أو ما يسمى بالجيش الإمامي الحافي وكان هؤلاء غير مدربين وغير مؤهلين وغير قادرين على الدفاع عن البلاد بدليل أن الجيش اليمني قبل الثورة رغم أنه كانت مهامه وواجباته الاساسية تتمثل في قمع الشعب وإرهاب المواطنين ليس إلا وعندما اختبر الجيش الحافي في إحدى المعارك الخارجية واشتباكه مع وحدة من الجبهات الحدودية لإحدى الدول المجاورة مني الجيش الإمامي بهزيمة نكراء مع الأسف وهو مايعني أن الجيش اليمني ماقبل ثورة ٢٦سبتمبر لم يكن سوى مجرد أفراد يعانون نقصاً في الإمكانات المادية والعلمية والتقنية التي تجعله قادراً على الدفاع عن الوطن، ومع كل هذا لا نستطيع اليوم أن ننكر أنه كان هناك قبل الثورة جيش يمني وإن كان اسمياً وجود مثل هذا الجيش للحكومة المتوكلية اليمنية وجيش في جنوب الوطن تابع للسلطات قبل قيام ثورة أكتوبر ونيل الاستقلال في الجنوب من الاستعمار البريطاني البغيض وكان هذا الجيش في المحميات الجنوبية ايضاً لا يختلف إعداداً وعدة عن الجيش الحافي الإمامي في شمال الوطن إبان الحكم الإمامي المستبد.

ومنذ وقت مبكر لثورة السادس عشر من سبتمبر والرابع عشر من أكتوبر بدأت قيادتا الثورة اليمنية سواء في شمال الوطن أم جنوبه بناء المؤسسة العسكرية على أسس حديثة كمؤسسة دفاعية وطنية وأنشئت وحدات عسكرية برية وبحرية وجوية، حيث كان أكثرها وحدات

العنف لا يولد سوى العنف والصراعات السياسية والحروب ضحيتها المواطن البسيط

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية